BASSAM KHALIL IBRAHIM ALKHAFAJI
بسام خليل إبراهيم الخفاجي
(Sultan Qaboos University, Oman)
(جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان)

التاريخي والأسطوري: تجسيد الواقع في روايات خالد الكندي

Abstract

The historical and the Mythical: The embodiment of reality
in novels of Ḫālid al-Kindī (Khalid al-Kindi)

The idea of searching for a myth stems from looking to history through the process of creation and reproduction, whose source is folk tales and religious beliefs, as repetitive stories that contribute to the myth of the idea, personality, or both. The myth relates to reality through a thin thread represented in the extent to which people accept other worlds parallel to their real world, so they try to escape from the world of reality to another woven by their fantasies through myths that due to their repetition turn into something like the truth that must be believed in by custom and law. Myth has a pivotal role in shaping the features of reality through narrative techniques that allow the writer to enter deep areas that go beyond real life to other worlds that contribute to understanding the nature of the universe, people, and things by imagining mythical models or ideas sometimes directly, and others through symbolic signs. The research deals with the relationship between the historical and reality in three novels by the Omani writer Ḫālid al-Kindī (born in 1972): *Al-Ǧaʿīd al-Abyaḍ*, *A Letter to Cyrus*, and *Umm as-Duways*. The thematic approach will be our guide in this study, because we will investigate the theme of the myth, whether directly or through symbolism, in the fictional works of Ḫālid al-Kindī. In this study, we try to answer a set of questions, including:

– How does the mythological theme embrace from realistic characters and stories within the literary text of Ḫālid al-Kindī novels?

– How does the study of myth highlight a regular theme, the aesthetic of the relationship between the mythical and the historical by embodying reality?

Keywords: Myth, Reality, the Omani Novel, Ḫālid al-Kindī, Thematic Method

الملخص

تنطلق فكرة البحث عن الأسطورة، من النظر إلى التاريخ عبر سيرورة الخلق والتوالد التي يكون مصدرها الحكايات الشعبية والمعتقدات الدينية بوصفها قصصا مكررة تسهم في أسطرة الفكرة أو الشخصية أو كليهما. وتتعالق الأسطورة مع الواقع عبر خيط رفيع يَتمثل في مدى تقبل الناس لعوالم أخرى توازي عالمها الواقعي، فتحاول الهروب من عالم الواقع إلى آخر نسجته خيالاتهم من خلال الأساطير التي تتحول عبر تكرارها إلى ما يُشبه الحقيقة التي يجب الإيمان بها عرفا وشرعا. وللأسطورة دورها المحوري في رسم معالم الواقع عبر تقنيات السرد الروائي التي تتيح للكاتب ولوج مناطق عميقة تتجاوز الحياة الواقعية إلى عوالم أخرى تُسهم في فهم طبيعة الكون والإنسان والأشياء عبر تخيّل نماذج أو أفكار أسطورية تارة بشكل مباشر، وأخرى عبر إشارات رمزية. ينطلق البحث من سؤال حول حدود العلاقة بين الأسطورة والواقع، ومن التماهي الذي يحدث نتيجة الأصل الواقعي والحقيقي للقصة، أو إلى فهم دور الأسطورة بوصفها تيمة تتشكّل في واقع جديد، ومن ثم تسير معه عبر أسطرة نماذج معينة. ومن هنا، يُعالج البحث علاقة التاريخي بالأسطوري في ثلاث روايات للأديب العماني خالد الكندي (ولد عام 1972): الجاعد الأبيض، ورسالة إلى قورش، وأم الدويس. سيكون المنهج الموضوعاتي دليلنا في هذه الدراسة؛ لأننا سنقوم بتقصي تيمة Theme الأسطورة سواء بشكلها المباشر أو عن طريق الرمز في الأعمال الروائية لخالد الكندي عبر رؤية كيفية بنائها وانتشارها في شكل شبكة من الدوال من خلال شخصيات وحكايات تاريخية ذات جذور واقعية من غير الالتفات إلى قصد الكاتب ووعيه. نحاول في هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، منها:
– كيف تُبنى التيمة الأسطورية من شخصيات وحكايات واقعية داخل النص الأدبي في روايات خالد الكندي؟
– كيف تُبرز دراسة الأسطورة تيمةً منتظمة، جمالية التعالق بين الأسطوري والتاريخي عبر تجسيد الواقع؟

الكلمات المفاتيح: الأسطورة، الواقع، الرواية العمانية، خالد الكندي، المنهج الموضوعاتي

المقدمة

تنطلق فكرة البحث عن الأسطورة، من النظر إلى التاريخ عبر سيرورة الخلق والتوالد والتضخم التي يكون مصدرها الحكايات الشعبية والمعتقدات الدينية بوصفها قصصا مكررة تسهم في أسطرة الفكرة أو الشخصية أو كليهما؛ لذا "تقع كلمة الأسطورة بين ثلاث مناطق، الأدب، والفلسفة، والأنثروبولوجيا".[1]

إن الحديث عن الأسطورة يحيلنا إلى طقوس الإنسان الأول وسعيه نحو اكتشاف ومعرفة أسرار الكون والطبيعة؛ لذا فهي تمثل "سعيا فكريا لتفسير ظواهر الطبيعة".[2] ويُعرّف (جيلبير دوران Gilbert Durand 1921–2012) الأسطورة بأنها: "الرواية التي تبرر هذا المعتقد الديني أو السحري أو ذاك، والملحمة وخصوصياتها التفسيرية، والحكاية الشعبية، والسرد الروائي".[3] وعليه فإن الأسطورة كمفهوم "يسري في العديد من مجالات الفكر المعاصر: الأنثروبولوجيا، علم النفس، الدين المقارن، علم الاجتماع، ومجالات أخرى".[4] وتتعالق الأسطورة مع الواقع عبر خيط رفيع يَتمثل في مدى تقبل الناس لعوالم أخرى توازي عالمها الواقعي، فتحاول الهروب من عالم الواقع إلى آخر نسجته خيالاتهم من خلال الأساطير التي تتحول عبر تكرارها إلى ما يُشبه الحقيقة التي يجب الإيمان بها عرفا وشرعا. وللأسطورة دورها المحوري في رسم معالم الواقع عبر تقنيات السرد الروائي التي تتيح للكاتب ولوج مناطق عميقة تتجاوز الحياة الواقعية إلى عوالم أخرى تُسهم في فهم طبيعة الكون والإنسان والأشياء عبر تخيّل نماذج أو أفكار أسطورية تارة بشكل مباشر، وأخرى عبر إشارات رمزية. وهي بذلك "تنطوي على بنية تزامنية لكونها تكرارا مستمرا لنشأة الكون، وبالتالي دواء ضد الزمن والموت".[5]

ينطلق البحث من سؤال حول حدود العلاقة بين الأسطورة والواقع، ومن التماهي الذي يحدث نتيجة الأصل الواقعي والحقيقي للقصة، أو إلى فهم دور الأسطورة بوصفها تيمة تتشكّل في واقع جديد، ومن ثم تسير معه عبر أسطرة نماذج معينة. ومن هنا، يُعالج البحث علاقة التاريخي بالأسطوري في ثلاث روايات للأديب العماني خالد الكندي[6] (ولد عام 1972): الجاعد الأبيض، ورسالة إلى قورش، وأم الدويس.

---

[1] Bell Michael, Literature, Modernism and myth: Belief and responsibility in the twentieth century, New York, Cambridge University Press, 1997, p. 1.

[2] أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكاتب للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت)، ص. 3.

وقد قسّم زكي الأسطورة على أربعة أقسام (1– الأسطورة الطقوسية 2– الأسطورة التعليلية 3– الأسطورة الرمزية 4– الأسطورة التاريخية) ينظر المصدر السابق، ص. 4.

[3] جيلبير دوران، الأنثروبولوجيا، رموزها أساطيرها أنساقها، ترجمة: مصباح السعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت 2006، ط. 3، ص. 337.

[4] نورثروب فراي، الماهية والخرافة، دراسات في الميثولوجيا الشعرية، تر: هيفاء هاشم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1992، ص. 34.

[5] جيلبير دوران، م.س، ص. 342.

[6] أكاديمي وأديب عماني، صدرت له العديد من الأعمال الأدبية في القصة والرواية، منها: رواية مرارة الذئب 2013، ورواية القافر 2013، ومجموعة قصصية بعنوان: مخاتلة الخلان 2022، وحكايات قصيرة بعنوان: حكايات

منهج الدراسة

سيكون المنهج الموضوعاتي دليلنا في هذه الدراسة؛ لأننا سنقوم بتقصي تيمة Theme الأسطورة سواء بشكلها المباشر أو عن طريق الرمز في الأعمال الروائية لخالد الكندي عبر رؤية كيفية بنائها وانتشارها في شكل شبكة من الدوال من خلال شخصيات وحكايات تاريخية ذات جذور واقعية من غير الالتفات إلى قصد الكاتب ووعيه؛ لأن التيمة "لها دينامية تبدعها، ولا قيمة لها في ذاتها، بل قيمتها في شبكة المعاني التي تفتحها بانتظامها مع غيرها من الموضوعات أو الصور".[7]

المدونة

سيتخذ البحث روايات الأديب العماني (خالد الكندي) مدونة رئيسة له؛ لما لمسناه من دور الأسطورة في تشكيل الأحداث، والشخصيات، والأفكار ضمن عالم واقعي يلجأ فيه الناس إلى أسطرة الواقع، حتى تولّدت معالم أساطير محلية ارتبطت بثقافة المكان والزمان العمانييْن، وقد كانت أعمال خالد الكندي، ومنها مدونة هذا البحث، مُشكّلا لهذا التلازم الحكائي بين واقع فيه أبعاد الحقيقة المعاصرة وعمق التاريخ، ومتخيَّل يعجّ بخيالات الرّواة في أماكن مختلفة من أصقاع عمان. وقد يكون المنهج الموضوعاتيّ قارئا لما توجهنا إليه هذه العلاقات الثنائية من تيمات حقيقية عولجت في ظلال أسطوريّة. وهذه النصوص هي:

1- أم الدويس (ط. 1، 2011).

2- رسالة إلى قورش (ط. 1، 2016).

3- الجاعد الأبيض (ط. 4، 2021)، (ط. 1، 2016).

وتتوزع فكرة الأسطورة في الروايات الثلاث بين أسطرة الشخصية عبر عرض نماذج واقعية لشخصيتين تاريخيتين عمانية (أبو زيد الريامي) الذي عالج العمل الروائي جوانب شخصيته الدينية والقيادية في ولاية بهلا العمانية إلى الحد الذي نسج الناس عنه أساطير كثيرة؛ نتيجة لقرائن كثيرة – كما سيأتي. ولم تكن الأساطير التي نسجت حول شخصية أبي زيد خاصة بالمجتمع العماني، بل كان نتاج ثقافة عامة غذّتها حكايات المجتمعات البشرية التي أنتجت الأساطير من رحم الواقع، كما في شخصية (قورش) الفارسية، وكذلك أسطرة الحكاية، كما في بناء (توليد) أسطورة دينية حول قيام دولة الإمامة في عمان، وأسطرة حكاية (أم الدويس). وهي كلها أساطير ترتبط بالثقافة العمانية.

في رواية (الجاعد الأبيض) تُصادفنا شخصية عمانية حقيقية "أبي زيد الريامي" أسبغ عليها الناس صفات أسطورية ضخّمت الشخصية؛ فاحتلت مساحة واسعة في ضمير المجتمع.

وفي الرواية الثانية (أم الدويس) توهم أسطورة المرأة الجِنّية الرجال بالتقرب إليها ثم تقوم بإيذائهم، ومن ثم يضخم الناس تلك القصة لدرجة الإيمان بها.

من نخل 2016. وقد حاز على الكثير من الجوائز الأدبية، وترجمت بعض أعماله إلى اللغات الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية.

[7] آن موريل، النقد الأدبي المعاصر، مناهج، اتجاهات، قضايا، ترجمة: إبراهيم أولحيان، محمد الزكراوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2008، ط. 1، ص. 72.

وفي رواية (رسالة إلى قورش) ينبش الكاتب التاريخ من خلال قص المربية (أفسار) على الأمير الصغير (قورش) قصص الحكّام والملوك والدول ومآسيها، فيكبر الأخير ويصبح ملكا عظيما؛ فتنسج الناس الأساطير حول شخصه وبطولاته.

أسئلة الدراسة

نحاول في هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، منها:

- كيف تُبنى التيمة الأسطورية من شخصيات وحكايات واقعية داخل النص الأدبي في روايات خالد الكندي ؟
- كيف تُبرز دراسة الأسطورة تيمةً منتظمة، جمالية التعالق بين الأسطوري والتاريخي عبر تجسيد الواقع ؟
- ما التيمات الفرعية الواقعية التي عولجت في ظل البناء الأسطوري؟
- ما مدى توارد التيمات ذات الطابع الأسطوري (الشخصية والفكرة) في روايات خالد الكندي؟

وسنحاول تقسيم الأسطورة في الروايات – محل الدراسة على قسمين، انطلاقا من المضمون والمبنى الحكائي اللذين أفرزا لنا رؤيتين تمثلان مستويات رئيسية قام عليهما البناء الروائي، إضافة إلى مستويات فرعية كانت بمثابة دلائل تدعم وتقوي تقسيمنا إلى: أسطرة الفكرة وأسطرة الشخصية.

أسطرة الفكرة (الإمامة – أم الدويس)

يقدم (أدريان مارينو Adrian Marino 1921–2005) في كتابه (نقد الأفكار الأدبية) تصورا عن الفكرة الأدبية، ينسجم مع موضوع البحث من حيث إنها سيرورة تأملية تتدرج عبر تاريخ من الأفكار، فيقول بأنها: "تسمية إجمالية وعرفية لكلية التأمل النظري والأيديولوجي للأدب أو في الأدب".[8] وتكمن قوة الأفكار في قدرتها على تجاوز الحدود اللغوية والجغرافية من خلال انتشارها عبر رؤى الناس وتجاربهم الحياتية المتصلة بالواقع، ولذلك امتازت تلك الأفكار بمد جذورها عبر أسطرتها من قبل المجتمعات والأفراد؛ لأنها حققت غايات مهمة تطلّع إليها الإنسان لتفسير كثير من الظواهر والمواقف التي واجهته.

وإذا أردنا أن نفهم (أسطرة الفكرة) بشكل يتسق مع مبادئ التكرار والتواتر التي ينبني عليها المنهج الموضوعاتي في ضوء الروايات المدروسة؛ فإننا سنواجه بلا شك نصوصا تتجاوز روايات خالد الكندي إلى نصوص عالمية أخرى[9]، تواترت فيها تيمة (أسطرة الفكرة) وتشكّلت من خلال رؤى التأويل تارة، والإحصاء تارة أخرى عبر انسجام مشترك يجعل من

---

[8] أدريان مارينو، نقد الأفكار الأدبية، ترجمة: محمد الرامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2008، ط. 1، ص. 55.

[9] منها على سبيل المثال لا الحصر، أسطورة أوديب، أسطورة دون جوان، وغيرها من الروايات والقصص التي تماهت فيها الفكرة والشخصية بين الواقعي والأسطوري من خلال الخلفيات التي ترتبط بالواقع من جهة، وبالأسطورة من جهة أخرى.

الواقع بؤرة محورية لإنتاج الأسطورة. ولسنا بصدد عقد مقارنة مع تلك النصوص العالمية، بل أردنا فقط الإشارة إليها في سياق مفهوم جوتة للأدب العالمي الذي ينطلق من مشتركات وأرضيات ثابتة لها أبعاد الزمن[10] والتاريخ العالمي، لأن التيمات "الكبرى في الطبيعة البشرية هي نفسها اليوم كما كانت منذ ألف عام. التباين الوحيد فيها هو التعبير".[11]

إن محاولة فهم الأسطورة بشكل عام يجعلنا كما يقول (فروم 1900–1980 Erich Fromm) – "أمام أمرين لا ثالث لهما: فإما أن تكون الأسطورة صورة بسيطة للعالم والتاريخ وسابقة للعلوم الحديثة، وهي على أكثر تقدير نتاج تصورات وهمية ذات جمال شعري أو أن تاريخ الأسطورة حقيقة، وهذه هي النظرة الأرثوذكسية، وأن علينا أن نرى فيها رواية مطابقة للحقيقة تحكي عن حوادث جرت في الواقع الحقيقي".[12]

لا تنفصل الأسطورة التي تولد داخل المجتمع والمنتج الثقافي العماني عن الأسطورة ضمن النطاق العالمي؛ لأنها تنطلق من دواع إنسانية مثّلتها أسباب تتصل بالنوع الإنساني من ناحية، وبالطبيعة والكون من ناحية أخرى؛ حتى يصل ديفيد دامروش إلى "قناعة بأن أي عملٍ من الأدب العالمي يتمتع بقدرة استثنائية على تجاوز حدود الثقافة التي أنتجته".[13] ولا يخرج المنتج الثقافي العماني الأسطوري عن هاتين الحالتين حسب فروم اللتين لعبتا سوية دورا رئيسا في تشكّل الكثير من الروايات العمانية الأسطورية التي ارتكزت على حكايات تتصل بالواقع عبر رؤى أسطورية كانت أساسا لروايات تماهى فيها الواقعي بالأسطوري[14].

تؤسطر الفكرة وتُبنى في رواية (الجاعد الأبيض) عبر توظيف (الحلم) لأحد الأشخاص حول قيام دولة الإمامة في سلطنة عمان في بداية القرن العشرين. ولا يُشكل هذا الحُلم لحظة مرئية عابرة في عالم اللاوعي، بل يمثل امتدادا تاريخيا لسلسلة من الصور والأفكار المتواترة عبر التاريخ الذي يتداخل فيه الحلم بالواقع عبر مجموعة علائق دلالية تنتج واقعا حقيقيا. ويتحدث (ن. فراي 1912–1991 Northrop Frye) في هذا الصدد، قائلا: "إذا أردنا رؤية

---

[10] على سبيل المثال الفارق الزمني بين زمن قورش، في القرن الخامس والسادس قبل الميلاد، وصولا إلى القرن العشرين أبو زيد الريامي وأم الدويس. فالأسطورة هنا تسامت كتيمة مهيمنة تفوق الزمن حضورا، مُشكّلة دلالة تاريخية مستمرة إلى الواقع.

[11] Kaplan Carter, 'The advent of literary Dystopia', *Extrapolation* 40/3 (1999), p. 209.

[12] إريك فروم، الحكايات والأساطير والأحلام، ترجمة: صلاح حاتم، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق 1990، ط. 1، ص. 145.

[13] Damrosch David, *How to read world literature*, Chichester UK, 2009, p. 2.

[14] منها، رواية (رأس مدركة) ليونس الأخزمي التي يتناول فيها قصة جنوح سفينة بريطانية في رأس مدركة العمانية في بدايات القرن العشرين، وقصة رحلة البريطاني الباحث عن الكنز في تلك السفينة. وكذلك تتناول قصة البدو في تلك المناطق، ونشوء المدن. ولم تكن الأسطورة بعيدة عن التركيب البنائي للرواية التي شكّلت محورا مهما في تفكير الإنسان العماني البسيط، وعلى سبيل المثال ما أورده في الرواية من جنوح إحدى السفن البريطانية عام 1684، ومساعدة البدو لطاقمها، ومن ثم سؤال أحدهم للبدو عن كيفية معرفتهم بجنوح السفينة، فتقول الرواية: "سألهم المترجم عن سبب تجمعهم في تلك الجزيرة القاحلة، فأجابوا بأنهم قبل ضياع السفينة بثمانية أيام، تنبأ لهم أحد الفقهاء، وكان يتعاطى الكهانة في ديانتهم، بأنه في مثل هذا الوقت، ستضيع سفينة هناك، وحثهم على الذهاب إلى مساعدة أهل السفينة الجانحة.

يونس الأخزمي، رأس مدركة، ثلاثية بحر العرب، دار عرب للنشر والترجمة، المملكة المتحدة، ط1، 2022، ص. 277. ولا يخفى دلالة (أحد الفقهاء) و (يتعاطى الكهانة). تلتقي مع شخصية أبي زيد من خلال ثقل شخصية الفقيه في المجتمع العماني.

الأسطورة الرئيسية كنموذج للمعنى أيضا، علينا أن نبدأ بأعمال اللاشعور حيث ينشأ التجلي، أي بكلمات أخرى علينا أن نبدأ من الحلم. دورة الإنسان من اليقظة إلى الحلم تماثل الدورة الطبيعية للنور والظلمة، وربما في هذه المماثلة تبدأ الحياة المبدعة بأكملها".[15] ويعادل الحلم فكرة النبوءة المتأصلة في العقل الجمعي للمجتمع، وظفها الثّوار لحشد تأييد لقيامهم، وجعلتها موجها لهم، أساسا دينيا من أسس الدولة، وبشرى تضفي طابع القداسة والمشروعية على ثورتهم:

– "خرج رجل نكرة من بين الجمع القادم من (إزكي) وهو يقول على حياء: نعم شيخنا..

– هلا رويت لهم الرؤيا التي أخبرني شيخك عبدالله الريامي أنك رأيتها! (...) رأيت ملائكة .. أقصد عمودا من مسك ينزل من السماء.. ثم.. ثم رأيت ملائكة تصافح هذا النور.. أعني العمود".[16]

هل المقصود من سرد تلك الرؤيا داخل ذلك الجو المشحون بالاستعداد للثورة، شحن العاطفة الدينية للجيش وعامة الناس أم لقادة الثورة؟ وكيف يمكن أن يطمئن عالم كبير كالشيخ السالمي لرؤيا "شخص نكرة"؟! كل تلك الأسئلة وغيرها تمثل الحد الذي يفصل بين الأسطورة والواقع.

إن وصف الرجل بـ (النكرة) في سياق عرض الرؤيا، يمكن أن يسهم في خلخلة البناء الفني للرواية، ويضعف من مدى تأثيرها على الناس إلا أن السارد هنا لم يلتفت إلى تأثير تلك الكلمة؛ لأنه كان مأخوذا بالفكرة (الرؤيا) التي رآها ذلك النكرة، ولم يكن ذلك حال السارد فقط، بل عموم الموجودين من علماء دين وعامة الناس؛ لأنها تضمنت مقطعا شعائريا دينيا يُعطي للقصة مرجعية قدسية؛ لأن "النصوص المقدسة هي الوثائق الأولى التي يتوجب على الناقد أن يدرسها كي يحصل على رؤيا شاملة للموضوع".[17]

ويمكن أن نبتعد قليلا في سبر أغوار تلك الرؤيا من خلال السير خلف المستويات السطحية والعميقة للنص؛ لاستكناه الدور الرئيس الذي أُريد لتلك الرؤيا أن تحققه في ظرف حساس من ظروف الثورة، ومن ثم توظيفها كأسطورة دينية في الثورة على النظام السياسي.

نلحظ أن الرؤيا قد قُصت على ملأ من العلماء والناس والبسطاء، في مجلس عام، ولا يُخفى البعد الدعائي للثورة من خلال إضفاء عناصر غيبية عليها بوصفها "قوة الإعلام الرئيسية التي تضفي على الشعائر مغزى النموذج الأصلي، وعلى النبوءة صفة النموذج الأصلي للفن القصصي".[18] ونلمس من الرواية أن الأحداث تسير في إطار فكرة مهيمنة تحمل بُعدين:

الأول: غيبي أسطوري، ويتمثل في أثر الحلم الملائكي في إنتاج الأسطورة، يقول فروم: "تقدم الأسطورة مثلما يقدم الحلم تماما قصة تجري حوادثها في المكان والزمان، وتعبر

---

[15] نورثرب فراي، الماهية والخرافة، م.س، ص. 30.

[16] خالد الكندي، الجاعد الأبيض، مكتبة روائع نور الاستقامة، ط. 4، مسقط 2021، ص. 97–98.

[17] نورثرب فراي، الماهية والخرافة، م.س، ص. 28.

[18] نفس المرجع، ص. 26.

بلغة رمزية عن أفكار فلسفية ودينية وعن تجارب روحية ينطوي فيها المعنى الحقيقي للأسطورة".[19]

والآخر: واقعي، يتمثل بمجموع العلماء الذين تصدوا لقيادة الثورة، ومن ضمنهم شخصية أبو زيد الريامي، كما سنأتي عليه تفصيلا عند الحديث عن أسطرة الشخصية.

ونلمس أثر البعدين الغيبي والواقعي في رواية (أم الدويس) من حيث توظيف الأسطورة في قراءة الواقع، ومن ثم البناء عليها كآلة لمعالجة مشاكلهم الواقعية، من قبيل خطف الفتيات من قبل قطّاع الطرق وغيرها. ونحن نتفق مع (ن.فراي) في قوله: "إن لدى الغالبية العظمى من الحضارات مجموعة من الأساطير من بين أساطيرها المأثورة تنظر إليها نظرة أكثر جدية بوصفها أصدق وأنفع في التعليم، وأقرب إلى الحقيقة والواقع من غيرها".[20] ولذا كانت قصص الجدة للأحفاد تطمح إلى معالجة الأثر الواقعي بروح أسطورية تتصل بقضايا المجتمع وآلامه.

تسوق الأسطورة المجتمع إلى نمط من الأفعال يتماهى مع تلك الفكرة التي كوّنها أهل (صحار) عن (أم الدويس). تقع أحداث الرواية في الثلث الأول من القرن العشرين، وتحديدا عام 1934 في ولاية صحار، من ولايات سلطنة عُمان، وقد لعبت تلك الأسطورة دورا رئيسا في التأثير على حياة الناس، ومعتقداتهم؛ لأنها وظفت في قضايا تمس حياة الناس، فتعالقت الأسطورة مع الواقع إلى درجة التصديق، كما حدث للشاب سليمان الذي شعر بتمثل (أم الدويس) أمامه، وهو عائد إلى بيته عند منتصف الليل: "فجأة شعر بحركة مريبة وسط الأشجار خلفه. حدّثه عقله بألا يلتفت إلى مصدر الصوت لئلا يوهم نفسه بما يمكن أن يفزعها، وأقنعها بأن الصوت إنما هو حفيف الأشجار. كاد يمضي في سبيله لولا أن الحثيث مثُل أمام ناظريه على مسافة ليست بالقريبة منه (...) على هيئة مرئية تمثّلت في صورة شُعاع أصفر اللون (...) صارت صورة الشعاع الهائمة تتجسد شيئا فشيئا؛ حتى ظهرت عن قرب في صورة امرأة وضيئة الوجه، متوشحة بملابس سوداء مزركشة. بدأت رائحة عُود نفّاذة تتسلل إلى أنفه، وأدرك أنها تنبعث من جهة المرأة التي بهره جمالها (...) تذكّر حكاية "أم الدّويس" التي طالما حكاها جده له ولإخوته وهم صغار. شرع يستعيذ بالله ويقرأ آية الكرسي والمعوذات وما تيسر له من الأوراد".[21]

وتقدّم الشخصية الحكائية في الرواية (الجدّة) بوصفها تمتلك خلفيات معرفية، كسبتها نتيجة تجارب حياتية عاشتها على مدار عمرها الطويل الذي شارف على التسعين عاما. يجتمع الأحفاد (عائشة، وريم، وعبدالله) حول الجدة التي "بدأ ظهرها يتقوّس وهي تشرف على سن التسعين وشاب حاجباها"؛[22] لتحكي لهم حكاية من حكايات ما قبل النوم.

وتُظهر الرواية ملامح تشكّل الحكايات الأسطورية في عقل الجدة قبل الأحفاد من خلال تكوينها المعرفي، فقد "كانت الجدة قد تعلمت القرآن وختمته في صغرها، وتعلقت بقراءته وقراءة الكتب اليسيرة التي توصي البحارة بشراء الجديد منها كلما أبحروا إلى شواطئ الخليج

---

[19] إريك فروم، الحكايات والأساطير، م.س، ص. 145.

[20] نورثراب فراي، تشريح النقد، محاولات أربع، ترجمة: محمد عصفور، عمان، 1991، ص. 67-68.

[21] خالد الكندي، أم الدويس، المنتدى الأدبي، ط. 1، مسقط 2011، ص. 81–82.

[22] نفس المرجع، ص. 7.

والعراق وإيران والهند.. إنها امرأة عصامية نادرة في زمانها بين أقرانها وأترابها في شخصيتها وثقافتها".[23]

تلك الجغرافيات المتعددة والممتدة التي تُعطي بُعدا معرفيا يتجاوز عمان، أسهم بشكل كبير في جعل شخصية الجدة ذات تأثير كبير. فهي إذن شخصية مؤثرة بما يمتلكه الناس عنها من فكرة مسبقة، ومن ثم ينتقل هذا التأثير إلى حكاياتها التي ترويها للأولاد. ومن الجدير بالذكر أن شخصيتها تشبه شخصية (أفسار) في رواية (رسالة إلى قورش) من حيث التكوين المعرفي العالي الذي أهلها لتكون مربية للملك (قورش).

يعود الفضل إلى رؤية أبعاد الشخصيات الروائية بشكل مقارن إلى طبيعة القراءة الموضوعاتية؛ ذلك أنها تسير خلف التيمة في جو ضبابي، تتكشف ملامحها عند رؤية العلائق بين الشخصيات والأفكار بشكل متكرر، كونها "تعتمد على أساس مشترك وتتوافق مع بعضها البعض من خلال تناغم مقدر. وتتمثل إحدى الطرق التي تتطور بها الدراسات المقارنة في العودة إلى الموضوعات في ضوء المقاربات النمطية".[24] وكلامنا عن الخلفيات المعرفية للشخصيات الروائية (الجدة وأفسار) يسلط الضوء أكثر على مدى ترسيخ الفكرة في عقول أبناء المجتمع؛ لأن الراوي لها يمتلك خزينا معرفيا متنوعا يؤهله لأن يجد لكلامه صدى لدى الناس.

كان سؤال: "ما القضاء والقدر؟"[25] الحافز الذي دفع الجدة لقص حكاية (أم الدويس): "سنحكي حكاية عجيبة من حكايات (عُمان).. حكاية كبيرة عن طفلة صغيرة!"[26]

لقد شغلت مسائل الحياة والموت والخلود والقضاء والقدر.. إلخ، بال الإنسان قديما وحديثا، ونسجت في محاولة للإجابة عن هذه التساؤلات، الكثير من الأساطير والحكايات في محاولة لتفسيرها. لذا كان سؤال الأحفاد حافزا لإنتاج أسطورة تحمل طابعا محليا، ولكنها لا تستقل عن مبرراتها العالمية التي مثلها التكوين المعرفي للجدة عبر قصص وكتب البحّارة التي تحمل قصصا ورموزا لعوالم أخرى تتجاوز بقعة جغرافية محددة أو تاريخ معيّن. ويجمع تلك القصص فكرة مهيمنة متواترة عبر حوافز تدفع الأدباء لتوليد أو بناء الأساطير للإجابة عن أسئلة تتعلق بالإنسان أو الوجود.

لاحظ (فلاديمير بروب Vladimir Propp 1895–1970) في كتابه (مورفولوجيا القصة) أن في كثير من القصص التي درسها، وحدة الفعل وتغيّر في الأسماء فقط، فقال: "إنه غالبا ما تسند القصة نفس الأفعال إلى شخصيات مختلفة، وهذا ما يسمح بدراسة القصص انطلاقا من وظائف الشخصيات (...) تمثل هذه الوظائف قيما ثابتة متكررة في القصة".[27] وانطلاقا من تلك الملاحظة المهمة لـ (بروب)؛ نجد أن أغلب القصص الأسطورية كانت تؤدي إلى دلالة موحدة، وانسجام عام يؤدي إلى النتيجة التي قررها (بروب) مستكملا فكرته، وهي: "إن مائة

---

[23] نفس المرجع أعلاه.

[24] Epstein Mikhail, *The irony of the ideal: paradoxes of Russian literature*, Boston 2018, p. 4.

[25] خالد الكندي، أم الدويس، ص. 10.

[26] نفس المرجع، ص. 11.

[27] فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمّو ، دمشق 1996، ط. 1، ص. 37.

قصة بموضوعات مختلفة يمكن أن تشكل جسمانا كافيا إلى حد بعيد".[28] وتلك الدلالة الموحّدة التي اكتسبتها الفكرة الناتجة عن مجموعة الأساطير، كانت بسبب التواتر والتكرار لمجموعة حوادث واقعية عاشتها المجتمعات المختلفة عبّرت عنها القصص والحكايات بالتفسير تارة، والتأويل بما ينسجم مع الواقع، تارة أخرى.

يُستفاد من الحكاية الأسطورية في معالجة المسائل والقضايا الواقعية التي يمكن من خلالها توسيع رقعة البحث لجغرافيات عالمية مرّت بظروف مشابهة من وحدة الأفعال. أضف إلى ذلك أن القصة الأسطورية متجذرة في لاوعي الإنسان، وراسخة كوجه تفسيري للحياة والكون؛ ولذلك "ينظر كلود ليفي شتراوس إلى العلامات الأسطورية بأنها عائمة على جسر يربط بين واقعية الصور وعمومية المفاهيم".[29] وفي الرواية نقف أمام استدعاء حكاية أسطورية، لمعالجة مشكلة واقعية حدثت لبعض شخصيات العمل، يواجهنا موقف (أسماء وصديقتها جهيرة) وحيلة الأخيرة بالتوسل بحكاية أم الدويس في الخلاص من قطّاع الطرق:

– "هل تعرفين أن خروجنا نحن الفتاتين في الليل ومعنا الداس[30] يذكرني بحكاية (أم الدُّويس) التي اشتهرت في (صحار) وما جاورها..

– ومن هي (أم الدُّويس) هذه؟..

– يزعم الناس أنها جنية جميلة جدا، تستدرج إليها الرجال، فإذا طمع فيها رجل واقترب منها آذته، وقد تقتله".[31]

ويلهم الحوار بين الفتاتين (جهيرة) بالتفكير في حيلة تخلصهما من قاطع الطريق (سويلم وأعوانه). وتلقي تلك الحيلة الضوء على كيفية توظيف الأسطوري في الواقعي عبر ترسّخ الأسطورة كحقيقة: " (...) فإذا أشعلت النار فاطفئي جمرة واحدة بماء إحدى القربتين اللتين على الجواد لتصير فحمة، ودهّني بسواد الفحمة بعض وجهك في صورة خطوط لتبدين في صورة غير إنسية، فإذا اقترب الرجل منك تودّدي إليه وادعيه بتخدج إلى الجلوس إليك، واشغليه حتى آتي أنا من خلفه فأضربه بكعب البندقية".[32]

لقد ساعد تقبّل الناس الأسطورة إلى نجاح خطة (جهيرة) في الهرب من اللصوص، فالأسطورة تمثل بُعدا مهما في حياة الناس، وطرق تفكيرهم وسلوكهم. ولا ينطبق الأمر على اللصوص فقط، بل على جهيرة التي آمنت فعلا بدور الأسطورة في إنقاذها.

تنمو الفكرة وتصبح أسطورة في المجتمعات المختلفة، نتيجة تغذيتها من قبل عوامل عدة، منها المجتمع والسلطة، فلجوء الناس والسلطة إلى أسطرة الأشياء، يجعل الفكرة ككرة الثلج كلما تقادم عليها الزمان نمت وكبرت، واستعصى على أي منطق أو علم دحضها.

---

[28] نفس المرجع، ص. 41.

[29] تيري إيغلتون، ظاهرة الأدب، تر: باسل المسالمة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق 2021، ط. 1، ص. 128.

[30] الداس في اللهجة العمانية: آلة حادة منحنية النصل تستخدم لجز النباتات الصغيرة اليابسة التي يستعان بها في إشعال النار والتدفئة ليلا، ص. 92 الرواية.

[31] خالد الكندي، أم الدويس، م.س، ص. 140–141.

[32] نفس المرجع، ص. 144.

أسطرة الشخصية (أبو زيد الريامي – قورش)

إن القارئ لروايتي (الجاعد الأبيض، ورسالة إلى قورش) يلمس تيمة مضمرة لم يفصح عنها النص بشكل مباشر، تتمثل تلك التيمة باستعداد الناس لتقبل أي شخصية تستطيع نقلهم إلى واقع آخر، وبمعنى آخر، شخصية تتميز بصفات مختلفة، ولا يهم أن تكون تلك الصفات حقيقية أم أنها نسجت من خيالات الناس.

إن الواقع الذي أسهبت الروايات في الحديث عنه، يرتكز على تيمات البؤس والخوف والظلم، وقد كانت الأساس الذي قامت عليه الأسطورة، والآلة التي وجّهت الشخصيات الروائية نحو الظهور بمظهر مختلف. لو تتبعنا نمو شخصيتي (أبو زيد الريامي و قورش) في الروايتين؛ لوجدنا أن نموهما كان طبيعيا منذ الطفولة إلى الشباب، وإن حاولت الروايات إضفاء بعض القضايا والتصرفات التي انتهجاها في مرحلة ما قبل السلطة. فتذكر رواية (الجاعد الأبيض) شيئا عن شباب أبي زيد، وتحديدا عندما كان في مكة، تهامس شابان حول أبي زيد:

– "هل تعلم يا (بشير) أنه في رمضان كان يؤدي كل يوم عمرة!.

– رفع بشير حاجبيه منبهراً:

– كل يوم!!

– نعم كل يوم.. كان يمشي حافيا كل يوم في رمضان من (بيت الرباط) إلى التنعيم، فيُحرم من مسجد السيدة عائشة ثم يعود، وهو فوق ذلك صائم (...) إنه شاب فريد في عصره.. ويبدو أن الله سيفتح عليه بكراماته، ولا سيّما أنه يتبتل إليه تبتيلا، ويكثر من العبادة أيّما إكثار!"[33]

يمكن القول إن تلك الحادثة كانت بداية أسطرة شخصية أبي زيد الريامي، فعلى الرغم من أن الفعل لم يكن خارقا أو مستحيلا على غيره، ولكنها عقليات المجتمع التي ترغب باللاوعي – بملامح شخصية خارقة، وغير مألوفة يُضفي عليها السرد الروائي نكهة من أساطير القدماء، وكما يقول بروب: "إن تكرار الوظائف نفسها على أيدي منفذين متباينين كان ملحوظا لمؤرخي الأديان منذ زمن بعيد في الأساطير والمعتقدات، ولكنه لم يكن ملحوظا لمؤرخي القصة. فكما تنتقل صفات الآلهة ووظائفها من واحد إلى آخر حتى يكتسبها في النهاية القديسون المسيحيون، كذلك تنتقل الوظائف من بعض شخصيات القصص إلى شخصيات أخرى".[34] ويجب أن لا نغفل الأصل الواقعي للحكاية الذي كان الحافز لخلق الأسطورة حول شخصية أبي زيد الريامي.

كل أسطورة تحمل في داخلها الدهشة والغرابة؛ لأنها تأتي بشيء يخالف المألوف والمتوقع؛ ولذلك تهامس الشابان، وتكلّما عن أشياء يأتي بها أبو زيد الريامي، تُعد صعبة في جو رمضاني حار وفي مكة المكرمة التي تشتهر بحرارة جوّها. ومن هنا بدأت خيوط الأسطورة تُنسج مبكرا حول شخصية أبي زيد، وتنمو شيئا فشيئا.

---

[33] خالد الكندي، الجاعد الأبيض، م.س، ص. 64–65.

[34] فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، م.س، ص. 37.

في رواية (رسالة إلى قورش) يمثل الأساس التاريخي القاعدة التي انطلقت منها الرواية لسرد الأحداث. فنجد المربية (أفسار) تقصّ على الأمير الصغير (قورش) قصص قبل النوم، التي كانت عبارة عن أحداث تاريخية حصلت للمربية نفسها وللملوك الذين حكموا بلاد الرافدين والأناضول. وكذلك الأساطير التي يحكيها الرهبان لقورش، منها أسطورة (العجل الإله): "سأحكي لك أسطورة من بلاد بعيدة؛ حتى تعلم الفرق بين ما أعلمك إياه وما يؤمن به الناس من خرافات (...) تقول الأسطورة إن براهما[35] فقيرا أهدى إليه رجل عجلا مقابل ديْن استدانه منه (...) وفرح البراهما بهذا العجل، وكان هذا العجل هو الإله! فرح البراهما بالعجل، واعتنى به كثيرا؛ حتى صار ثورا قويا يستطيع أن يقوم بأي شيء (...) وكان الثور يحب الأطفال إذ يسمح لهم بركوبه دون أن يؤذيهم، وكان هذا مدعاة لفرحتهم؛ حتى إن البراهما سمى الثور "سرور عظيم". وقد قرر الثور أن يكافئ صديقه البراهما على كل ما قدمه له (...) فناداه قائلا: اسمع يا صديقي، أريد أن أضع قوتي الجبارة تحت خدمتك.. هنا تعجب البراهما لأنه لم يكن يعلم أن الثور يستطيع التحدث (...) قال الثور: لا تعجب يا سيدي.. في العالم أشياء أغرب من هذا (...)".[36]

وقد كان لتلك القصص أثر كبير في تشكّل شخصية الأمير قورش منذ الصغر، وإلى بناء حلم الملك في نفسه. ولا يخفى أن جو الأساطير كان شائعا في بلاد الرافدين والأناضول في زمن قبل الميلاد، من ذلك ما تذكره الرواية عن أحد الجنود الذي سعى لإنقاذ زوجته الحامل عندما طلبت القابلة منه (نبتة النانخة): "لقد حاولت جهدي أن أنفعها بشيء؛ لكني لم أستطع، ولم يبق إلا حلّان: إما أن نضحي بأحدهما: الجنين أو الأم، أو تبحث عن نبتة النانخة".[37] وتذكرنا (نبتة النانخة) بعشبة الخلود في أسطورة جلجامش التي بحث عنها جلجامش "لتعطيه شبابا أبديا وينمو في قاع البحار".[38] وكذلك أسطورة فرعون التي تذكرها الرواية، تُصبح شاهدا على نمط التفكير تجاه الحكّام، وأسطرة شخصياتهم: "إن مولانا العظيم فرعون قد كُشفت له أسرار الحياة وعالم الملكوت".[39]

إذن كان سرد الأساطير، ومن ثم علاقة الأخيرة بتشكّل الواقع، وتغيير مجريات الأحداث، شيئا طبيعيا في بلاد الرافدين والأناضول. ولذا لم يكن غريبا على المجتمع من أسطرة أي شخصية يُرى منها شيء غير مألوف، وخصوصا بعد أن أصبح قورش ملك الملوك، وأصبحت سيرته تتناقلها الناس كأسطورة؛ بسبب الحروب والدول والأراضي التي ضمها إلى مملكته. ونجد في الرواية مجموعة من الرموز الأسطورية التي تُشكل مجتمعة آلة خفية لتسيير المجتمعات عبر إرادة لاواعية. ولكن الشخصيتين بدأتا بأخذ منحى مختلف عند استلامهما السلطة، حيث كانت مرحلة السلطة الآلة الحقيقية التي تحركت في ضوئها الشخصيات بسبب المساحة الكبيرة التي أُعطيت لهما من جهة، وتأويل الناس الأسطوري لهما من ناحية أخرى.

---

[35] الراهب المجتهد في العبادة، م.س، ص. 192.
[36] خالد الكندي، رسالة إلى قورش ، ط. 1، مسقط 2026 ، ص. 191–194.
[37] نفس المرجع، ص. 9.
[38] آرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، ترجمة: سهى الطريحي، دمشق 2010 ص. 36.
[39] خالد الكندي، رسالة إلى قورش، م.س، ص. 104.

وتجلى تفكير الناس في أبي زيد على أنه شخصية أسطورية؛ لأنه فعل الكثير لولايته وهي في حالة قحط وجدب وفقر. ولذا مثّل الحوار بين (الهامور[40]) وأبي زيد، ملامح الرؤية الأسطورية للأخير:

– "ولكن الناس يعرفون أني عمَرتُ سور (بهلا) وصُنتُ أفلاجها وأصلحت آبارها.. وكل ذلك بفضل الله ثم بيت المال.. فكيف أقول لهم إني لا أستطيع إعمار الأراضي المهجورة، وهي أقل تكلفة؟!

– في الحقيقة.. الناس لا يصدقون أنك عمرت كل ذلك ببيت المال؛ لأن بيت المال أضعف من أن يتحمل كل تلك النفقات .. وإذا شئت أن أصارحك فالناس يعتقدون أن عندك سراً من أسرار العلوم الربانية، وأنت تملك علم الرياضة".[41]

ونلحظ أن الشيخ حاول ثني كبير التجار عن تلك الفكرة التي يقولها الناس:

– "ضحك الشيخ كثيرا حتى اتكأ ظهره على جدار المجلس ثم مسح دموع الضحك من وجنتيه وقال:

– ما دمتُ أملك علم الرياضة فلماذا لم أُسخر الجن في عمارة السور والأفلاج والآبار بدلا من أن أُكبّد بيت المال كل تلك النفقات التي سلّمتها للعاملين على إصلاحها..

– هذا فضل من شيخنا لكي يُشغّل الفقراء من أهل الصناعات ويُغنيهم".[42]

إن الفكرة التي كوّنها الناس حول (أبي زيد) تجاوزت منطق العقل والطبيعة. فحين يؤسطر الناس الأشياء، ويضفون عليها قيمة تفوق الحدود الطبيعية؛ تجد من الصعب إزالة تلك القناعة أو هذه الفكرة من رؤوسهم، وهذا له أسباب كثيرة طرحتها الرواية عبر أنساق مضمرة تارة، ومعلنة تارة أخرى، منها:

– قلة المتصدين لشؤون الحكم ممن يمتلكون هذه النزاهة في الحفاظ على أموال بيت المال؛ ولذا لا يعمد الناس إلى تلمّس الأسباب الطبيعية في فهم الأمور، بل يلجأون إلى أشياء غيبية لتفسير الظاهرة.

– كثرة المشاريع المُقامة لا توازي الأموال الموجودة في بيت مال المسلمين؛ ولذلك حتى كبير التجار لم يصدق أن تلك المشاريع هي نتيجة حسن تدبير وإدارة جيدة.

– تمثل حياة الفقراء مناخا خصبا لنمو الأسطورة والخرافة؛ لأنها دائمة البحث عن مخلّص ومنقذ لها.

– أن الناس تبحث عن قدوة في ضميرهم الواعي واللاواعي؛ ولذلك أضفوا عليه صفات أسطورية، تُفسر أعماله على أنها نتيجة علاقته بعالم الجن والروحانيات، وأن أولئك هم من يقدمون له العون والمساعدة.

– تصرفات أبي زيد الغامضة، كلها تحيك حوله مجموعة من الأقوال والأساطير، وتؤكد ما ذهب إليه الناس.

ومن الطبيعي بعد نسج كل تلك الأشياء حول شخصية أبي زيد، من أن تظهر معتقدات الناس فيه بشكل مخالف للتوقع، فيطلب منه الناس كتابة الأحراز والأوراد بوصفه شخصا

---

[40] أي كبير التجار.

[41] خالد الكندي، الجاعد الأبيض، م.س، ص. 174. علم الرياضة: أي الرياضات الروحية والعلاقة بالجن.

[42] نفس المرجع أعلاه.

مباركا. وتجلى هذا التفكير بشكل أكبر في مجتمع النساء. فقد كان لأبي زيد زوجتان، وكان نساء الولاية يأتين إليهن لعرض أسئلتهن ومطالبهن، حتى تعرضها الزوجتان على أبي زيد:

– "قالت المرأة التالية دون أن تنتظر الإذن بالكلام:

أما أنا فمسألتي غريبة وعجيبة! (...) أنا الله يجيرك ويجير السامعات متأذية من الجن في البيت (...) ما أقدر أن أخرج عن أولادي الصغار في الليل إلا وأجد البيت مقلوبا من فوقه وتحته.. لا يبقى صحن .. ولا ملعقة.. ولا ثوب.. إلا وهو منفوش في الأرض.. وهؤلاء الصغار المساكين هكذا يرتعشون من الخوف (...) وحين أسألهم: ماذا صار؟ يقولون: ما نعرف؛ لكن نرى هذه المواعين تطير فوق رؤوسنا كأنها طيور (...) والآن .. أنا أريد أن يكتب لي أبو زيد حرزا يكف شرهم!"[43]

وفي السياق ذاته وبالتوازي مع قصة المرأة، نلمس اعتقاد الناس بأبي زيد في كونه يحمل تعويذة تحمي نخلهم من (الزنابير) التي تتسبب بإتلاف النخيل:

– "أخرج أبو زيد قرطاسة من جيبه، وقطع منها قطعة صغيرة، وبدأ يكتب عليها، ثم طواها عدة طيّات، ومد يده بها إلى (بن سويد) قائلا:

– خذ هذه (البروة)، تنفع أحدكم إذا طلع النخل..

قلّب (بن سويد) القصاصة فتعجب منها وسأله: وفيم تنفع هذه (البروة)؟!

– إنها تعويذة تحمي حاملها من الدبابير..

– زاد انبهاره، وقال مستنكرا بابتسامة شاكّة: وكيف تحميه هذه القرطاسة من الزنابير إذا كانت النار ما نفعت؟!

– قلت لك إنها ستحميه!

– قال مستهترا: طيب.. لكن ماذا يصنع بها؟ أيسلمها الزنابير؟

– ابتسم الشيخ ابتسامة ساخرة وهو يجيبه: لا.. بل يكفي أن يتركها في جيبه فلا تجرؤ الدبابير على الاقتراب منه!

– وفكّ (بن سويد) فاهه متعجّبا: هاه!"[44]

إن (التعويذة) معروفة في الأدبيات الإسلامية بوصفها حجابا يكتب فيه شيء من القرآن والدعاء؛ للاستشفاء أو لقضاء الحاجة وغيرها من الأمور، وهنا نلمس تصرف "أبي زيد" الغامض الذي يفسره الشخص الطبيعي على أنه خارج النواميس الطبيعية؛ ولذلك فغر الرجل فاهه متعجبا!. وتوازي التعويذةُ الطلسم بوصفه مكونا من مكونات الأسطورة. فيستعمل الطلسم في الأساطير "لحماية الموتى من أعتى وأخطر الأعداء، بل ويستعان به للتوصية على القادمين إلى العالم الآخر لدى بعض الآلهة المرحبة باستقبالهم في هذا المكان".[45] وتذكر الرواية قصصا كثيرة غريبة عن حكايات الشيخ مع الجان، وفي كيفية تصرفه معهم، الأمر

---

[43] نفس المرجع، ص. 275–277.

[44] نفس المرجع، ص. 288–289.

[45] روبير جاك تيبو، موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، ترجمة: فاطمة محمود ، القاهرة 2004، ط. 1، ص. 222.

الذي زاد من نسج الناس قصصا غريبة،[46] مما يقوي ذلك النسيج بين الحادثة التاريخية والمكونات الأسطورية لتجسيد الواقع.

وبالنسبة إلى رواية (رسالة إلى قورش)، نجد أن جد الأخير (الملك أستياجيس) كان حاكما كبيرا، وكانت لديه بنت وحيدة، لم يرغب بتزويجها مطلقا؛ بسبب رؤيا رآها في منامه "تصوّر له طفلا يخرج من إحدى غُرف قصره، فيجره وهو على عرشه إلى الخارج، فيخرجه من قصره هو وعرشه. وفسّر له البراهما أن ابنته إذا تزوجت ستنجب طفلا يهدد عرشه".[47] وما حدث أن تزوجت ابنته بعد حيلة، وأنجبت قورش، وتحقق حلمه بأن أنزله الأخير عن عرشه وطرده من قصره، كما جاء في الحلم تفصيلا. ولم يكتف قورش بالاستيلاء على الحكم، بل فتحت شهيته على السيطرة على العالم من خلال الحروب. وهو الأمر الذي جعل الناس يتناقلونه كأسطورة خارقة إلى الحد الذي جعل الأمهات تنوم أطفالها على اسم قورش: "إن الأمهات صرن يضربن بوحشيتك المثل، حتى إن الأطفال حين يسمعون حكايات (قورش) قبل النوم يظنون أنك أحد وحوش الأرض لا من جنس البشر!"[48]

وكأننا نرجع إلى دائرة مغلقة بدايتها حكايات ما قبل النوم التي شكلت البنى الأساسية في شخصية قورش، ومن ثم تحوّل الأخير إلى موضوع تلك الأساطير. إن ما يجمع بين أبي زيد الريامي وبين قورش، هي الأساطير التي حيكت عنهما بعد توليهما السلطة، فعلى الرغم من الفارق الزمني بين الاثنين حيث عاش الأول في بدايات القرن العشرين، والثاني خلال القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد إلا أن التيمة الأسطورية بقيت متصلة عبر التكرار والترديد الذي مارسته الشعوب والمجتمعات تجاه الشخصيات التي توالت عليها.

النتائج

أبرزت جمالية التعالق بين التاريخي والأسطوري، تيمة أسطورية منتظمة تم بناؤها من شخصيات وحكايات واقعية داخل النص الأدبي في روايات خالد الكندي, وقد عبّرت الأسطورة عن الواقع من خلال مجموع الوظائف الأسطورية التي أضفت على الشخصيات الواقعية (أبو زيد الريامي، قورش) في أذهان الناس أبعادا تجاوزت الواقع إلى عالم آخر موازٍ نسجه الناس في مخيلتهم، وكذلك من خلال أسطرة الفكرة عبر تيمات فرعية تواردت، وشكّلت تيمة مهيمنة ذات طابع أسطوري.

وتوازت الأسطورة مع الواقع لدرجة التطابق وعدم التمييز، وهذا ما أفرزته مدونة الروايات المدروسة من خلال الترميز تارة، والمباشرة تارة أخرى بين أسطرة الفكرة

---

[46] لم أستطع إيراد القصص لطولها، ينظر مثلا في رواية الجاعد الأبيض، ص. 306، 313، 314، 320–321، 343، 356، 363، 380، 389، 412.

[47] خالد الكندي، رسالة إلى قورش، م.س، ص. 179.

[48] نفس المرجع، ص. 290.

والشخصية عبر عوالم واقعية تتماهى مع عوالم موازية تتخذ من ميتافيزيقا الفكرة منطلقا لسيرورة اجتماعية.

وقد كان المنهج الموضوعاتي الذي يتتبع التيمة بغض النظر عن المؤلف وقصده، الآلة التي أعطت الباحث حرية الحركة في البحث عن التكرار الموجود في نصوص روائية تجمعها روابط واعية أو لاواعية. وتجاوزت الحركة التيماتية العصر الحاضر واستقرت عميقا بحوادث ما قبل الميلاد؛ لتؤلف تيمة واحدة مستقرة عميقا في النشاط الإنساني عبر انسجام مجتمعي ينتقل من بيئة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى ثقافة. شكّلت التيمات الفرعية في الروايات، كالجوع والفقر والظلم، والجهل، مناخات أساسية لنمو ظاهرة الأسطورة في المجتمعات المختلفة؛ لأنها مثّلت ظواهر يضعف معها الفرد لدرجة التشبث بأي خيال أو نموذج أسطوري يُغيّر معالم الواقع البائس إلى آخر أفضل.

قدّمت رواية (الجاعد الأبيض) نموذجا لخيالات المجتمع الطامح لرؤية شخصية تحقق كرامتها في جو يموج بالفقر والجوع، وفقدان أبسط الحقوق الإنسانية، فمثّلت شخصية (أبي زيد الريامي) بما حملته من مؤهلات قيادية ودينية غير مألوفة لدى المجتمع، سبيلا للتغيير، تشبثوا به كطوق نجاة من واقع أليم. وقد أدّت فكرة أسطرة قيام دولة (الإمامة) في سلطنة عمان عبر الحلم الملائكي إلى أسطرة الشخصيات القيادية في دولة الإمامة. أضف إلى ذلك المزايا الشخصية التي تمتع بها أبو زيد الريامي من الزهد والعلم والتقوى، وتصريحه تارة، وتلميحه تارة أخرى إلى علاقته بعالم الجن، إلى تخصيب خيالات الناس لأسطرة شخصيته، ومن ثم أفعاله وأعماله التي قام بها في ولاية (بهلا) العمانية.

وبالنسبة إلى رواية (أم الدويس) كانت الفكرة تنمو شيئا فشيئا عبر أجواء ومناخات تسعى للبحث عن أجوبة للكثير من المشاكل الواقعية التي كانت تحدث في مجتمع يعيش قضايا الخطف وغيرها. ولذا كانت الرواية لا تختلف عن سابقتها (الجاعد الأبيض) في أن كلتيهما تعبران عن حاجة مجتمعية للتمسك بشيء حتى وإن يكن أسطوريا للتعبير عن انفعالاتهم ونشدان أمل لتفسير الكثير من القضايا.

ولا تختلف رواية (رسالة إلى قورش) عن سابقتيها من كون الأصل الواقعي لشخصية الملك (قورش) قد برز في مناخات اجتماعية تشكو من الظلم والحروب والانقسامات. وكان بروز قورش بما حمله من خلفيات حلم الجد الذي فسره الكهنة بولادة حفيد له يزيحه عن السلطة وسطوته واحتلاله للكثير من البلدان الداعي الحقيقي لنسج الأساطير حوله. ولا يمكن أن نغفل (الحلم) كونه الآلة المحركة لروايتي (الجاعد الأبيض) و (رسالة إلى قورش) في إضفاء صبغة ميتافيزيقية، تُجبر المتلقي على الإذعان عبر التكرار والترديد.

المصادر والمراجع

أحمد كمال زكي، الأساطير، دار الكاتب للطباعة والنشر، القاهرة (د.ت.).

آرثر كورتل، قاموس أساطير العالم، تر: سهى الطريحي، دار نينوى للدراسات والنشر، دمشق 2010.

إريك فروم، الحكايات والأساطير والأحلام، تر: صلاح حاتم، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق 1990.

آن موريل، النقد الأدبي المعاصر، مناهج، اتجاهات، قضايا، تر: إبراهيم أولحيان، محمد الزكراوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة 2008.
جلبير دوران، الأنثروبولوجيا، رموزها أساطيرها أنساقها، تر: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت 2006.
خالد الكندي، أم الدويس، المنتدى الأدبي، مسقط، 2011.
خالد الكندي، الجاعد الأبيض، مكتبة روائع نور الاستقامة، مسقط 2021.
خالد الكندي، رسالة إلى قورش، بيت الغشام للصحافة والنشر، مسقط 2016.
روبير جاك تيبو، موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، تر: فاطمة محمود، المشروع القومي للترجمة، القاهرة 2004.
فلاديمير بروب، مورفولوجيا القصة، تر: عبد الكريم حسن، سميرة بن عمّو، شراع للدراسات والنشر، دمشق 1996.
نورثروب فراي، الماهية والخرافة، دراسات في الميثولوجيا الشعرية، تر: هيفاء هاشم، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1992.
نورثروب فراي، تشريح النقد، محاولات أربع، تر: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، 1991.
يونس الأخزمي، رأس مدركة، ثلاثية بحر العرب، دار عرب للنشر والترجمة، المملكة المتحدة، 2022.

Bell Michael, *Literature, Modernism, and myth: Belief and responsibility in the twentieth century*, Cambridge University Press, New York 1997.
Damrosch David, *How to read world literature*, Blackwell Publication, Chichester UK 2009.
Epstein Mikhail, *The irony of the ideal: paradoxes of Russian literature*, Academic Studies Press, Boston 2018.
Kaplan Carter, 'The advent of literary Dystopia', *Extrapolation* 40/3 (1999).